﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: 164 - 166]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

أقــوال الملائكة المكرمين تدحض اعتقاد المشركين

لمّا ذكرت الآيات السابقة تنزيهَ اللّهِ عن ادِّعاء المشركين وزعمهم، وتنزيهَ المؤمنين أن يقترفوا ما افتراه المشركون، وأنَّه ليس لأحد أن يُضِلَّ أحدًا إلّا مَن اختار طريق الضَّلال؛ ناسب الانتقالُ إلى بيان حال الملائكةِ في السَّماء، وأنَّهم هم الذين يُسبِّحون الله تعالى، ولا يَعصونه ما أمَرهم، لا كما زعم المبطلون من المشركين، وناسب ذِكر قيل الملائكة لبيان حالهم التَّعبُّدي، بعد ذِكر افتراء المشركين في اعتقادهم في شأن الملائكة مع الله تعالى، فهو لنفي الاعتقادِ الباطل، وتأسيس الاعتقاد الحقِّ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَقَامٌ﴾: (قوم) أصلٌ يدلُّ عَلَى انتِصابٍ أو عَزْمٍ، ويقال: قامَ كذا، وثبت، وركز بمعنًى، والمَقامُ يكونُ مَصدرًا واسمَ مكانِ القيامِ وزمانِهِ، نحو قولِ اللّهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: 14][1]، وقولِه تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]، وإذا جعلتَهُ مِن (قامَ يقومُ)؛ فهو مفتوحٌ، وإن جعلتَهُ مِن (أقامَ يُقيمُ)؛ فمضمومٌ، كقولِه تعالى: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: 76]، أي: مَوضِعًا[2]، والمقصود هنا: أنَّ لكلِّ ملَك موضعًا معلومًا في السَّماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه[3].

(1) الرّاغب، المفردات: (قوم).
(2) الرّازي، مختار الصّحاح: (قوم).
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 287.

2) ﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾: (صفف) أصلٌ يدلُّ على استواءٍ في الشَّيء وتَساوٍ بين شيئين في المقرِّ، مِن ذلك الصَّفُّ، وذلك إذا وقف كلُّ واحد إلى جنب صاحبه، واصطفَّ القوم، وتصافّوا، والأصل في ذلك الصَّفْصَفُ، وهو المستوي من الأرض، والصَّفُّ قد يُجعل - فيما قاله أبو عبيدة - بمعنى الصّافِّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: 4]، ويحتمل أن يكونَ مصدرًا، وأن يكون بمعنى الصّافّينَ، ومعنى ﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾ في الآية: الملائكةُ الصّافّون في مواقف العبوديَّة[1].

3) ﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾: (سبح) أصلٌ يدُلُّ على جِنْسٍ مِن العِبادةِ، والتَّسبيحُ: التَّنزيهُ والتَّقديسُ والتَّبرِئَةُ؛ يُقال: سَبَّحْتُ اللّهَ، وسَبَّحْتُ لَهُ، أُسَبِّحُهُ تَسبيحًا وسُبحانًا، أي: نَزَّهْتُهُ، وبَرَّأْتُهُ مِن كُلِّ سوءٍ ونَقْصٍ[2]، ويُطلَق التَّسبيحُ بهذا المعنى على قَوْلِ: سُبحانَ اللّهِ، فيُقالُ: سَبَّحَ الرَّجُلُ، أي: قال: سُبحانَ اللّهِ، ويأتي التَّسبيحُ أيضًا بمعنى التَّنَفُّلِ والتَّطَوُّعِ بالعبادةِ[3]، والمقصودُ مِن تسبيح الملائكة علَى المَعنى الآخر: نَحْمَدُكَ ونصلّي لك[4]، وعلى الأوَّل: نُنَزِّهُك مِنَ السّوء تعظيمًا لك[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَـــن أعـلـن الخضوع المطلقَ لله نفى الشِّرك المطلق

تُبيِّن الآية الكريمة براءةَ الملائكة ﷺ عمّا قاله فيهم المشركون، وأنَّهم عباد الله، لا يعصونه طرفةَ عينٍ، فما مِنهم مِن أحدٍ إلّا له مقامٌ وتدبيرٌ قد أمره الله به، لا يتعدّاه، ولا يتجاوزه، وليس لهم من

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 65، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 362.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (سبح)، والخطّابي، غريب الحديث، ص: 685.
(3) ابن سيده، المُحكَم، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (سبح)، والمناوي، التوقيف، ص: 96.
(4) أبو عُبيدة، مجاز القرآن: 1/ 36.
(5) الماورديّ، النُّكَت والعيون: 1/ 96 - 98.

الأمرِ شيءٌ، وهم الصّافّونَ في طاعة الله تعالى، وهم المسبِّحون والمنزِّهون لله عمّا لا يليق به، فكيف بعد هذا يكونون شركاء لله؟ تعالى الله عمّا يفتريه المفترون[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

تحتملُ الواو الاستئناف والعطف وكلاهما في الرَّدِّ على المشركين

يحتمل أن تكونَ الواو في قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ استئنافيَّةً لحكاية اعتراف الملائكة للرَّدِّ على عَبَدتهم، كأنَّه قيل: (ويقول الملائكة الذين جعلتموهم بناتِ الله، وعبدتموهم بناءً على ما زعمتم مِن أنَّ بينهم وبينه تعالى مناسبةً، وجنسيَّةً جامعة)، وتحتمل أن تكونَ عاطفةً على قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، فيكون عطفًا على معنى الاستثناءِ المنقطع؛ لأنَّ معناه أنَّهم ليسوا أولادَ الله تعالى، وعُطف عليه أنَّهم يتبرَّؤون مِن ذلك، فالواو عاطفةٌ قولًا محذوفًا يدلُّ عليه أنَّ ما بعد الواو لا يصلح إلّا أن يكونَ كلامَ قائل، والتَّقدير: (ويقول الملائكة ردًّا على المشركين: ما مِنّا إلّا له مقامٌ معلوم، وإنّا لنحن الصّافون، وإنّا لنحنُ المسبِّحون)[2].

بلاغةُ النَّفي بـ(ما):

التَّأكيدُ على اختلاف درجات الملائكة في منازل الطّاعة

جاء الحرفُ (ما) في قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ لنفي استواء الملائكة، واختلافِ درجاتهم في المعارف والطّاعات، وفي منازل الخدمة والعبوديَّة، وقد أوثرَ الحرفُ (ما) هنا لما فيه من معنى التَّأكيد الذي ليس في غيرِه، كما قال سيبويه: "وإذا قال: (لقد فعل)، فإنَّ نفيَهُ: (ما فعل)؛ لأنَّه كأنَّه قال: (والله لقد فعل)، فقال: (والله ما فعل)"[3]، فلمّا أكَّد المشركون الإثبات،

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 708.
(2) درويش، إعراب القرآن: 08/ 318، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 190، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 146.
(3) سيبويه، الكتاب: 3/ 117.

وأصرّوا على افترائِهم؛ أُكِّد النفيُ بـ(ما)، تأكيدًا أبلغَ مِنَ النَّفي بـ(لم) أو (ليس)[1].

نوعُ (من) ودلالتها:

لكلّ ملك مرتبة ومنزلة فيها أمرٌ معلومٌ وعمل مروم

يدلُّ حرف الجرِّ (من) في قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ على بيان الجنس، أي: (ما مِن أحد من جنس الملائكة إلّا له مرتبةٌ، ومنزلةٌ، ووظيفةٌ لا يتعدّاها)، فمنهم المَوَكَّل بالأرزاق، ومنهم المَوَكَّل بالآجال، ومنهم المَوَكَّل بإنزال الوحي، ومنهم راكعٌ لا يُقيم صُلبَه، ومنهم ساجدٌ لا يَرفع رأسَه خضوعًا لعظمة ربِّه، وخضوعًا لهيبته، وتواضعًا لجلاله، ولكلٍّ منزلتُهُ من العبادة، والتَّقريب، والتَّشريف[2].

تعيين مرجع الضَّمير:

نسبة الكلام إلى الملائكة المقرّبين أو إلى عباد الله المؤمنين

الظّاهر أنَّ مرجع ضمير (نا) من قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هو الملائكة، وأنَّ الآيةَ حكايةٌ عن قولهم، وهذا مذهب الجمهور، فقوله تعالى في الآيات الموالية: ﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾، ﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ يدلُّ على ذلك، فقد شاع وصف الملائكة بأمثالها في القرآن، كما جاء في أوَّل السّورة وصفُهم بالصّافات، وأمّا وصفُهم بالتَّسبيح؛ فكثيرٌ في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: 5]، وأُشير إلى تفاوُتِ مقاماتهم في مثل قوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ [التكوير: 20 - 21]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النّجم: 13 - 14]، فالسّياق القرآنيُّ العامُّ وسياق السورة الخاصُّ يؤيّدانِ أنَّ الآيات من قول الملائكة.

ويحتمل أن يكونَ هذا ممّا أُمِر النَّبيُّ ﷺ أن يقولَه للمشركين، عطفًا على التَّفريع الَّذي في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى

(1) السّامرائيّ، معاني النَّحو: 4/ 569.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 287.

آخره، ويتَّصل الكلام بقوله: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ﴾ [الصافات: 149] إلى هنا، والمعنى: (ما أنتم بفاتنينا فتنة جراءة على ربِّنا - فنقولُ مثلَ قولكم: الملائكةُ بنات الله، والجنُّ أصهار الله - فما منّا إلّا له مقام معلوم لا يتجاوزه، وهو مقام المخلوقيَّة لله والعبوديَّة له)[1]، وفي الاحتمالين فإنَّ الضَّمير يرجع إلى من خضع لله ربِّ العالمين، وردَّ قول المشركين.

نكتة الالتفات من الغَيبة إلى التَّكلُّم:

تـنـويـعُ المـقـام لكمال الاعتناء بتحقيق الكلام

عدل النَّظمُ القرآنيُّ من الغَيبة في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ۝١٤٩ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ۝١٥٠﴾ [الصافات: 149 - 150]، وفي قوله أيضًا: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾، إلى التَّكلُّم في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ على سبيل الالتفاتِ، فهو من كلامه تعالى، لكنَّه حُكي بلفظ الملائكة، وأصله: (وما منهم إلّا له مقامٌ معلوم)، والنُّكتة في الالتفات إلى الخطاب: إظهارُ كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام[2].

معنى القصر ونُكتَتُه:

حصرُ الملائكة في مقام العُبوديَّة للرَّدِّ على المزاعمِ الكفريَّة

جاء أسلوبُ القصرِ في قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ بالجمع بين النَّفي بأداة (ما) والاستثناء بـ﴿إِلَّا﴾، والتَّقدير: (وما منا أحدٌ متّصِفٌ بصفةٍ من الصِّفات إلّا بصفةِ أن يكونَ له مقامٌ معلوم من الطّاعة والعُبوديَّة لا يتجاوزه)، والقصر إضافيٌّ لا حقيقيٌّ؛ لأنَّه لا يخلو أحد من صفات متعدِّدة[3]، ونكتة القصر: دفع كلِّ صفةٍ عن الملائكة إلّا الصِّفة المذكورة من كونِهم لهم مقام معلوم، وأنَّهم قائمون على طاعة الله عبوديَّةً وخضوعًا، لنفي ادِّعاء المشركين.

(1) السّمين، الدّر المصون: 9/ 339، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 191.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 147.
(3) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 339.

نوعُ اللّام ودلالتها:

اختصاصُ كلِّ مَلَكٍ بمقامٍ معلوم

اللّام الداخلةُ على الضَّمير في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ للاختصاص، أي: (ما مِن ملَك من معشرِ الملائكة إلّا له قدْرٌ معيَّن، ومقامٌ معلوم في السَّماوات، يعبد الله تعالى فيه، مقامٌ خاصٌّ به لا يتجاوزه).

نكتةُ تقديم شبه الجملة:

السّياق موصلٌ لمعرفةِ الاختصاص وتعيين الاهتمام

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾؛ لإفادة الاختصاص، توكيدًا على الاختصاص المُفاد من اللام، والمعنى: أنَّ لكلِّ ملَكٍ مقامًا معلومًا يختصُّ به دون غيره من الملائكة، سواءً أكان هذا المقامُ معنويًّا يُرادِف المرتبةَ والمنزلة، أم كان ماديًّا بأن يختصَّ كلُّ ملَك في السَّماوات بموضعٍ يعبد الله تعالى فيه لا يتجاوزهُ، والَّذي يُرشِّح الاختصاصَ السياقُ، فإنَّ الحصرَ، وذِكْرَ المقام المعلوم يُعيِّنان أنَّ التَّقديمَ كان للاختصاص، روى أبو ذرٍّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: "أطَّتِ السَّماءُ، وحقَّ لها أن تَئِطَّ، ما فيها موضِعُ أربعِ أصابِعَ إلّا ومَلَكٌ واضِعٌ جبهَتَهُ لله ساجدًا"[1].

بلاغةُ التَّعبير بالمقام:

مقامُ الملائكة يجمع بين المكان والمكانة

استعمل النَّظمُ الكريم لفظَ المقام في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، وأصله مكانُ القيام، والمقصودُ هنا إمّا أن يكونَ لكلِّ مَلَك موضعٌ معلوم في السَّماوات يعبد الملكُ الله تعالى فيه لا يتجاوزه، وإمّا أن يكونَ المقام بمعنى المرتبةِ والمنزلة والوظيفة الَّتي لا يتعدّاها: فمنهم الموكَّل بالأرزاق، ومنهم الموكَّل بالآجال، ومنهم الموكَّل بإنزال الوحي، ومنهم راكعٌ لا يقيم صلبه، ومنهم ساجدٌ لا يرفع رأسه خضوعًا لعظمة ربِّهِ، وخضوعًا لهيبتهِ، وتواضعًا

(1) أخرجه الترمذي برقم: (2312)، قال الألباني: صحيح بشواهده.

لجلالهِ، ولكلٍّ منزلتُه من العبادة، والتَّقريب، والتَّشريف[1]، وهذان الاحتمالان - وهما المكان والمكانة - مرادان، فإنَّ لكلِّ مَلَكٍ مكانًا ومكانةً لا يتعدّاها.

غرضُ تنكيرِ ﴿مَقَامُ﴾:

جاء لفظُ المقام نكرةً في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ للتَّعظيم، فمقامُ الملائكة عظيمٌ عند خالقها؛ إذ وصفهم بأنَّهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦﴾ [الأنبياء: 26].

بلاغةُ الكناية في ﴿مَّعْلُومٌ﴾:

وُصِف المقامُ في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ بأنَّه معلوم، والمعلوم: المعيَّن المضبوط، وأُطلق عليه وصف ﴿مَّعْلُومٌ﴾؛ لأنَّ الشَّيء المعيَّن المضبوطَ لا يشتبه على المتبصِّرِ فيه، فمَن تأمَّله؛ علِمَه، والعلم هنا علم الملائكة بمقامهم، وهو كنايةٌ عن التزامهم بذلك المقام الذي لا يتجاوزونه، فالمعلوم هو مكان المَلَك ومكانته في القيام بما أمرَ الله تعالى به، لا مجرَّدُ الإخبار عن عِلمهم بالمقام، فأطلق المعلوم، وأراد العمل والالتزام.

علمُ الملائكة لا لمردِّ المعرفة، بل لكمال العمل وتمام الطّاعة

نوعُ الواو ودلالتُها:

الواوُ في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾؛ لعطف الجملة على السّابقة، أي: (يقولون: ما منا إلّا له مقام معلوم، ويقولون: إنا لنحن الصّافون).

بلاغة القصر:

جاء أسلوب القصر في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ على طريقِ تعريفِ جزأي الجملة، وضميرُ الفصل من قوله: ﴿لَنَحْنُ﴾ يفيد قصرًا مؤكَّدًا، فهو قصرُ قلبٍ، أي: إنَّ الملائكة هم الصّافّون في مواقفِ العبوديَّة لا غيرُهم، ودون ما وصفتموهم به

الملائكةُ هم الصّافون في مواقفِ العبودية لا غيرُهم

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 287.

أيُّها المشركون من البنوَّة للّه تعالى[1]، فهو قريبٌ من نكتة القصر الوارد في الآية السّابقة.

معنى تعريف ﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾ بـ(ال):

لا يعتري الملائكة في مقام العبوديَّة ما يعتري البشر

جاء لفظ ﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ معرَّفًا بـ (ال) الموصولةِ، بمعنى: (نحن الَّذين نَصُفُّ أجنحتَنا)، وضابط (ال) الموصولة أن تكون صلتُها صفةً صريحةً، وهي هنا اسم الفاعل (صافّون)، والنُّكتة في استعمال اسم الفاعل دون الجملة الفعليَّة: إفادةُ الثُّبوت والدَّوام، فهُم على الدَّوام صافّون، لا يتطرَّق لهم تقصير أو ضعف أو غفلة أو عصيان.

بلاغةُ التعبيرِ بمادَّة الاصطفاف:

الإيماءُ إلى أنَّ الملائكة تعبد الله مجتمِعةً في اصطفافٍ واحد

جاء استعمال مفردة ﴿ٱلصَّآفُّونَ﴾ في قول اللّهِ تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾؛ لدلالتها على معانٍ محتملة يتَّسع لها السّياق، فَهُمُ الصّافون في مواقفِ العبوديَّة، والصّافون أقدامَهم في الصَّلاة، وأجنحتَهم في الهواء منتظرين ما يُؤمَرون به، والصّافون أجنحتَهم حولَ العرش داعين للمؤمنين، وقيل: إنَّ المسلمين إنَّما اصطفّوا في الصَّلاة منذ نزلت هذه الآية، وليس يصطفُّ أحدٌ من أهل المِلل في صلاتهم غيرُ المسلمين[2]، وهذا المعنى مستفادٌ من الآيةِ لا أنَّه تفسيرها، فقد توافق اصطفافُ المؤمنين في الصَّلاة مع اصطفاف الملائكة في مقامات العبوديَّة، وقد دلَّ هذا اللَّفظ على أنَّ الملائكة إنَّما تعبد اللّه تعالى مجتمِعةً في اصطفاف واحد.

نكتةُ حذف متعلَّق اسم الفاعل:

الدَّلالة على عموم معاني الاصطفاف

جوَّز حذفَ متعلَّقِ اسم الفاعل في قول اللّه تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ دلالةُ قوله: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ عليه - أي: (الصّافون

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 362، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 192.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 65، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 362.

لعبادته سبحانه) - فإنَّ الكلام في هذه الآيات كلِّها متعلِّقٌ بشؤون الله تعالى[1]، ونكتة هذا الحذف: دخولُ معانٍ تشمل كلَّ أنواع العبادة التي تندرج ضِمنَ أعمال الملائكة، ممّا نعلمه وممّا لا نعلمه.

غرض توالي المؤكِّدات:

ردُّ كلام المنكرِ على لسانِ المُفْتَرى عليهم

جاء الكلام في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ بتوالي مؤكِّدات عِدَّة، وهي: حرف التَّوكيد (إنَّ)، واللّام المزحلقة، وضمير الفصل، وتعريف الجزأين، وذلك لتأكيد مضمون الكلام؛ ردًّا على من يزعم خلافَ ذلك، فإنَّ الملائكة هم الصّافون للعبادةِ بصوَرِها كافَّةً، وإنَّ الخبرَ الآتيَ على ألسُنِ الملائكة الذين افتُري عليهم أقوى في ردِّ اعتقاد المفترين من أهل الجاهليَّة.

نوعُ الواو ودلالتها البيانيَّة:

في العطف إتمامٌ لتنزيه الله، على لسان من افتُريَ بهم الافتراء

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ لعطفِ الجملة على السّابق، لإفادة أنَّ لكلٍّ منهم مقامًا معلومًا، وأنَّهم الصّافون، وأنَّهم المسبِّحون، فبَعدَ أن أخبر الملائكةُ عن أنفسهم بأنَّهم يصُفّون أجنحتَهم في مقام العبوديَّة أدَبًا مع ربِّهم ﷻ، عُطف عليه في هذه الآية الإخبارُ بأنَّهم هم المسبِّحون اللّهَ عمّا نسبه إليه الكفرةُ من الأقوال الباطلة، ويأخذ التَّوكيد في هذه الآية حكمَ التَّوكيد والقصر الواردَينِ في السّابقة.

معنى تعريف ﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ بـ(ال):

دوامُ الملائكة على التَّسبيح من غير انقطاع ولا فتور

جاء لفظ ﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ معرَّفًا بـ (ال) الموصولةِ، والمعنى: (لَنحنُ الّذين نسبِّحُ ربَّنا)، وضابط (ال) الموصولة أن تكون صلتُها صفةً صريحة، وهي هنا اسم الفاعل ﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾، والنُّكتة في استعمال اسم الفاعل دون الجملة الفعليَّة: إفادة الثُّبوت والدَّوام، فهُم المُسبِّحون

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 362، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 192.

المنزِّهون الله تعالى في جميع الأوقات، يسبِّحونه، ويعبدونه، لا كما زعم المشركون.

نكتةُ استعمال مادَّة التَّسبيح:

ذِكــرُ التَّـنـزيـه ليُقابل ضدَّه من افتراء المشركين

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ مادَّة التَّسبيح في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾، والتَّسبيح تنزيهُ الله جلَّ ثناؤُهُ من كُلِّ سوءٍ، وممّا أضافه إليه المشركون[1] من الباطل ونحوه، وقيل: ﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ هم المُصَلّون، وقيل: القائمون بمجموع التَّسبيح باللِّسان والصَّلاة، والمقصودُ من ذِكر هذه الصِّفات: أنَّ صفاتِ الملائكة هي متعلِّقة بالعبوديَّة، وليسوا كما وصفهم به الكفّار من أنَّهم بنات الله سبحانه[2]، وآثر النَّظمُ الكريم استعمال هذه المادَّة ردًّا على المشركين في عدم تنزيه الله تعالى، ولبيانِ أنَّهم القائمون بالتَّنزيه إنِ استكبر المشركون عن تنزيه الله وعبادتِه.

نكتةُ حذف متعلِّق ﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾:

حـذْفُ المعلومِ مـن الـكـلام لـدلالةِ السّياق على تعيينه

حُذِفَ في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ متعلِّقُ اسم الفاعل ﴿ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾؛ لدلالة قوله: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ عليه، أي: المنزِّهون له سبحانه، ولدلالة عمومِ السياق عليه، فإنَّ الكلام في هذه الآيات كلِّها متعلِّق بتنزيه الله تعالى وتسبيحه[3].

نكتةُ ترتيب هذه الصِّفات:

التَّرتيب على طريقِ التَّرقّي، مِنَ المبدأ إلى الدَّوام

جاءت الآياتُ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ على طريق التَّرقّي: فبدأت الملائكةُ بذكر المقام المعلوم الذي هو كنايةٌ عن المكانة التي جعلها الله لهم في العبوديَّة والطّاعة، ثم ذكروا أنَّهم الصافّون في الاجتماع على العبادة، وأنَّهم لا يَحيدون عنها في ثباتٍ ودوام، وأنَّهم المنزِّهون

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سبح).
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 288.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 362، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 192.

المسبِّحون، فلا يصِفون اللّهَ تعالى إلّا بما يليق به، فذكروا أوَّلًا مقامَ العبوديَّة، ثم حالَهم فيه، ثم ما استمرّوا عليه، وهذا في غاية البراعة في ذِكر المبدأ والدَّوام، وهو غايةٌ في مدح هؤلاء الذين جعلَهم اللّهُ تعالى عباده المكرَمين.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفتنة والبلاء:

دلالاتُ الفتنة أوسـع من دلالات الابتلاءِ

تتقارب معاني الفتنة والابتلاء في اللُّغة: فالفتنةُ هي ابتلاء واختبار، والابتلاء: هو الاختبار والتَّجريب والامتحان[1]، ولهذا ساوى بعضُ علماء اللُّغة بينهما، يقول الراغب: وجُعِلَتِ الفتنةُ كالبلاء في أنَّهما يُستَعملان فيما يُدفَع إليه الإنسانُ من شدَّة ورخاء، وهما في الشِّدَّة أظهرُ معنًى وأكثرُ استعمالًا[2].

إلّا أنَّ هناك بعضَ الملامح الدَّلاليَّة الَّتي تُمَيِّز اللَّفظين، وهي أنَّ الابتلاءَ: اختبارُ الإنسان بالشِّدَّة والضَّرّاء، ليُرى أيَصبِر أم يجزَع؟ واختباره بالسَّرّاء والنِّعم ليُرى أيشكرُ، أم يبطَر؟ ولهذا استُعمِل البلاء في الخير والشَّرِّ أكثر.

أمّا الفتنة؛ فهي مادَّة الابتلاء، أي: هي إيقاعُ الإنسان في الشِّدَّة مِن أجل اختبارِه بها، وورد لفظ الفتنة في الاستعمال القرآنيِّ على عدَّة وجوهٍ إضافةً لمعنى الابتلاء والاختبار، منها: العذاب، والشِّرك، والكفر، والتَّعذيب والتَّحريق، والحَيرة، والضَّلال؛ فدلالات الفتنة أوسعُ من دلالات الابتلاء[3]، ولهذا آثر النَّظم القرآنيُّ استعمالها في هذه الآية، وهي هنا بمعنى الإضلال.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بلو).
(2) الراغب، المفردات، ص: 481.
(3) الراغب، المفردات، ص: 482، ومحمد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 48، والنزهي، الفروق اللغوية، ص: 201.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»